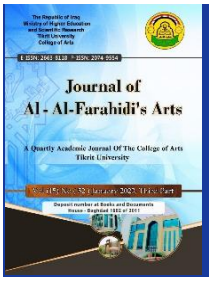

Tikrit University | جامعة تكريت

مجلة آداب الفراهيدي

Journal of Al-Farahidi's Arts

القضـــايا الشـــعرية في ديوان ســـيد قطب - قضية المرأة أنموذجاً

م. د. إحسان برهان الدين أمين

قسم اللغة العربية، كلية التربية الأساسية، جامعة حلبجة

حلبجة، العراق

Poetic Issues in Sayyid Qutb's Divan - The Woman's Issue As A Model

Lecturer. Dr. Ihsan Burhanuddin Amin

Department of Arabic Language, College of Basic Education, University of Halabja

Halabja, Iraq

SUBMISSION التقديم	ACCEPTED القبول	E-PUBLISHED النشر الإلكتروني
15/03/2023	07/05/2023	30/08/2023

P-ISSN: 2074-9554 | E-ISSN: 8118-2663 https://doi.org/10.25130/jaa.15.54.3.5 Vol (15) No (54) June (2023) P (55-69)

الملخص

سـعت هذه الدراسـة إلى إبراز مرحلة معينة ومميزة من حياة الأديب سـيد قطب، وتركّز إهتمامها في ذلك الصدد على القضايا التي عالجها الشاعر في ديوانه، ولا سيما قضية المرأة التي كانت محوراً جوهرياً من أهم المحاور وأوسعها التي تناولها الشاعر فصور أحاسيسه تُجاهها، ومواقفه منها، ومعاناتها معها.

وكذلك رصـدت الدراسـة المنحى التدريجي في انحدار تعلق الشـاعر بالمرأة وفق التغيرات الفكرية التي كان يمرّ بها، إلى أن ودّع ذلك العالم وتحول عنه إلى مرحلة اللا عودة، بعد أن قفل من سفره راجعاً من أمريكا.

إن الشخصية التي يتناولها الباحث في هذه الدراسة الموجزة، هي شخصية سـيد قطب في المرحلة التي سـبقت التحول الفكري والانقلاب المنهجي الذي تبدل فيه وتحول إلى إنسان آخر مختلف عن السابق تماماً، حيث غدا شخصية مرجعية إسـلامية، ينظّر للحالة الإسـلامية، بعد أن كان ناقداً وشـاعراً وأديباً، منشـغلاً بالمعارك الأدبية تارة، وبالكتابة الرومانسية تارة أخرى.

الكلمات المفتاحية

سيد قطب، الأغراض الشعرية، المرأة، القضايا الشعرية، الدواوين الشعرية

ABSTRACT

This study sought to highlight a specific and distinctive stage in the life of the writer Sayyid Qutb, and focused its attention in this regard on the issues that the poet dealt with in his collection, especially the issue of women, which was an essential axis of the most important and broad axes that the poet dealt with, portraying his feelings towards her, and his attitudes towards her, and suffering with it.

The study also monitored the gradual trend in the decline of the poet's attachment to women according to the intellectual changes he was going through, until he bid farewell to that world and turned away from it to the stage of no return, after he closed from his travel back from America.

The personality that the researcher deals with in this brief study is the personality of Sayyid Qutb in the stage that preceded the intellectual transformation and the methodological revolution in which he changed and turned into another human being completely different from the previous one, as he became an Islamic reference figure, looking at the Islamic situation, after he was critical and A poet and writer, busy with literary battles at times, and romantic writing at other times.

KEYWORDS

Sayyid Qutb, Poetic Purposes, Women, Poetic Issues, Poetry Collections

Copyright and License: *This is an Open-Access Article distributed under **A Creative Commons Attribution 4.0 License**, which allows free use, distribution, and reproduction in any medium provided the original work is properly cited.*

المقدمة:

يتناول هذا البحث شخصية من الشخصيات التي أطبقت شهرته الآفاق في القرن العشرين، سجل بأعماله حضوراً في كلتا الساحتين الأدبية بوصفه ناقداً وشاعراً وأديباً، وكذلك بوصفه مفكراً وكاتباً إسلامياً، ومنظراً للكثيرين في المرحلة الأخيرة من حياته وبعد مماته.

سبب اختيار الموضوع:

لقد غلبت التوجهات الإسلامية والفكرية على سيد قطب في مرحلة التزامه الإسلامي، وتسبب دخوله إلى معترك السياسة والعمل الحركي في أن يُسدل على شاعريته ستار النسيان، ولا سيما نظرته الشخصية في قصائده عن المرأة، فأراد الباحث أن يسلط الضوء على هذا الجانب المهم من حياته، على الرغم من أنه لم يستمر مع الشعر والأدب إلى خاتمة حياته، بل أدت به تحولاته الفكرية ليس أن يهجر كتابة الشعر عن المرأة، وحسب، وإنما يهجر عالم الشعر برمّته.

أهمية الدراسة:

إن التحولات الفكرية التي تطرأ على شخصية ما، لا يعني ذلك إلغاء الحديث عن تلك المرحلة الغابرة وعدم تناولها بالدراسة، ذلك أن الأديب بأعماله التي يقدمها ويصور فيها الكثير من المشاعر والأحاسيس الإنسانية، تُصبح أعماله جزءاً من ذاكرة المتلقي، بل وأحياناً ترقى تلك الأعمال بأن تتحول إلى جزء من التاريخ الأدبي لشعب من الشعوب، وبغض النظر إلى كون الشاعر استمر على قناعاته أم نكص عنها، تبقى أهمية نصوصه من الناحية التاريخية قائمة، ومن ثَمّ رأى الباحث أن يسلط الضوء على تلك المرحلة الغابرة من حياة سيد قطب، والتي انتهج بعدها نهجاً مغايراً في الحياة تماماً.

الدراسات السابقة:

كثيرة هي الدراسات التي تناولت سيد قطب بوصفه المفكر والمنظر الإسلامي، ومن أشهرها وأوسعها كتاب: (سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد) لصلاح عبد الفتاح الخالدي، ولكنها قليلة تلك الدراسات التي تناولته أديباً وشاعراً، ومن ذلك: (سيد قطب الاديب الناقد) لعبد الله خباص، و(التصوير الفني في شعر سيد قطب) لحنان أحمد غنيم، و(التجربة الجمالية في النقد عند سيد قطب) وهذه والتي قبلها رسالتا ماجستير، وغيرها.

هذا وقد تشكل البحث من مقدمة وتمهيد احتوى على خلاصة لسيرة الشاعر، تلاه مبحثين خُصص الأول منهما لبيان بعض الأغراض الشعرية والقضايا التي شغلت الشاعر، وأما المبحث الثاني فقد خُصّ برؤية سيد قطب للمرأة في شعره والصور التي ظهرت فيها، وأما المنهج المتبع في هذا البحث فكان المنهج الوصفي النقدي إذ أن ذلك أقرب إلى تلبية الدراسة في مثل هذه المواضيع، أسأل الله العلي القدير السداد والمعونة، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير.

التمهيد:

حياته وجوانب من سيرته شاعراً:

طغت شهرة سيد قطب بوصفه مفكراً إسلامياً على شهرته شاعراً، حتى لقد كاد العلم بشاعريته أن ينحصر عند الخواص من محبي الأدب والأكاديميين من ذوي الاختصاص، وربما يعود السبب في ذلك إلى الأحداث المتشابكة التي غدا سيد قطب طرفاً فيها في النصف الثاني من حياته، والتي احتدم فيها الصراع آنئذ بين السلطة والتيار الذي انتمى إليه من جهة، والجماهير التي انقسمت هي الأخرى إزاء آرائه الإسلامية ما بين مؤيد مولع بها ومدافع عنها، وبين كاره رافض لها يمقتها.

سنمرّ على محطات من أحداث حياته بصورة موجزة تليق بالمقام، وتكون بمثابة إضاءات تخدم السياق البحثي، أكثر منها تسليطاً للضوء على تفصيلات حياته، أولاً لشهرة سيد قطب، وثانياً لضيق المقام وعدم اندراج سيرته بشكل مفصل ضمن متطلبات العنوان الذي تم تحديده.

أولاً: نبذة عن السيرة الذاتية للشاعر:

ولد سيد قطب إبراهيم حسين شاذلي عام ١٩٠٦م في قرية موشة وهي إحدى القرى التابعة لمحافظة أسيوط، عاش طفولته وصباه في قريته وتلقى دراسته الابتدائية فيها [١].

ينتمي سيد قطب إلى أسرة واضحة التميز وإن لم تكن عظيمة الثراء، وكان والده عميد الاسرة الذي وكّلت إليه المحافظة على مركزها والتحدث باسمها، وكانت والدته أيضاً من أسرة ثرية متميزة أوفد أخوين لها للدراسة في الأزهر، مما أضفى على تلك العائلة وجاهة على وجاهتها، وقد ساهمت هذه النشأة المتميزة لسيد قطب منذ نعومة أظفاره، أن يتميز ويكون له توجه علمي واهتمامات تختلف عن اهتمامات أطفال الأرياف وشبابها [٢].

وكان لوالديْ سيد قطب تأثير كبير في تربيته وشخصيته وسلوكه الذي انصبغ بسلوك والده الذي كان مثالاً عملياً له وقدوة مجسدة يعظه بأفعاله قبل اقواله، كما أشار سيد إلى ذلك عندما أهدى له كتابه (مشاهد القيامة في القران) قائلاً: "إلى روحك يا أبي أتوجه بهذا العمل. لقد طبعت فيّ وأنا طفل صغير مخافة اليوم الآخر، ولم تعظني أو تزجرني، ولكنك كنت تعيش أمامي واليوم الآخر في حسابك، وذكراه على لسانك، كنت تعلل تشددك في الحق الذي عليك، وتسامحك في الحق الذي لك؛ بأنك تخشى اليوم الآخر، وكنت تعفو عن الإساءة وأنت قادر على ردها لتكون لك كفارة في اليوم الآخر" [٣] كما يبدو أن لتأثر سيد قطب بأمه والتزامها الديني أثراً بعيداً على النشأة أضفت على شخصيته طابعاً من الوقار والتوازن النفسي و الخُلقي، يصف سيد ذلك التأثر بعد رحيل أمه بكلمات صدّر بها كتابه (التصوير الفني في القرآن) مهدياً أياها كتابه قائلاً: "إليك يا أما أرفع هذا الكتاب. لطالما تسمّعت من وراء "الشيش" في القرية، للقراء يرتلون في دارنا القرآن، طوال شهر رمضان. وأنا معك أحاول أن ألغو كالأطفال فتردني منك إشارة حازمة، وهمسة حاسمة؛ فأنصت معك إلى الترتيل، وتشرب نفسي موسيقاه. وإن لم أفهم بعد معناه ... ولقد رحلتِ عنّا يا أُمّاه وآخر صورك الشاخصة في خيالي، جلستُك في الدار أمام المذياع، تستمعين إلى الترتيل الجميل، ويبدو في قسمات وجهك النبيل أنّك تدركين بقلبك الكبير، وحسّك البصير مراميه وخفاياه" [٤].

في عام ١٩٢٠ ترك قريته مسافراً إلى القاهرة ليقيم عند أحد أخواله وتعرف عن طريقه على حزب الوفد ليعمل في صفوفهم ويبدأ مرحلة جديدة من الدراسة، حيث دخل كلية دار العلوم عام ١٩٢٩ وتخرج منها عام ١٩٣٣ حاملاً شهادة البكالوريوس في الآداب. وقد عمل مدرساً لسنوات في وزارة المعارف قبل أن يسافر في بعثة تربوية ميدانية إلى أمريكا، موفدا للاطلاع على مناهج التربية والتعليم هناك. وبعد عودته من أمريكا عام ١٩٥٠ وبسبب بعض الخلافات مع كبار موظفي الوزارة حيث انتهت باستقالته. وكان في عام ١٩٤٢ قد قطع علاقته بحزب الوفد، وبقي غير منتمٍ لأية جهة سياسية حتى كان عام ١٩٥٣ وانخرط رسمياً في صفوف جماعة الإخوان المسلمين [٥]، ليبدأ بعد أشهر قليلة رحلة عناء استغرقت سنوات عديدة قابعا في السجون، ولم تنته إلا بنهاية حياته حيث مات مشنوقاً في ١٩٦٦/٠٨/٢٩.

ثانياً: صلته بأدباء عصره ومؤلفاته:

كان سيد قطب كاتباً ناشطاً في المسائل النقدية والأدبية، فلقد كتب ما يربو على (٤٥٥) مقالة في كبريات الجرائد والمجلات التي كانت تُعنى بالنقد والأدب، مثل: أبوللو والأسبوع والأهرام والبلاغ الاسبوعي والرسالة وغيرها كثير [٦]. وكانت تربطه بأدباء عصره علاقات وصداقات، وفي مقدمتهم الأديب عباس محمود العقاد الذي تأثر به كثيراً ولازمه أكثر من ربع قرن، ومنهم أيضاً مصطفى صادق الرافعي وطه حسين وتوفيق الحكيم وغيرهم، كما كان يتناول بالنقد أعمال بعضهم ويكتب مقالات عنها [٧]، وقد ألف سيد قطب العديد من الكتب، وصلت فيما أحصاه صلاح الخالدي إلى (٢٦) كتاباً. منها من الكتب الأدبية: مهمة الشاعر في الحياة، ديوان الشاطئ المجهول، نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر، والتصوير الفني في القرآن، والأطياف الأربعة، وطفل من القرية، وكتب وشخصيات، وأشواك، وروضة الطفل، والنقد الأدبي أصوله ومناهجه وغيرها [٨].

ثالثاً: وقفة مع كتاب الأطياف الأربعة:

لم يكن سيد قطب وحده أديباً من بين إخوته وأخواته، بل معظمهم كانوا أدباء، وقد اشترك سيد مع شقيقه محمد وشقيقتيه أمينة وحميدة في تأليف كتاب وسموه بالأطياف الأربعة، حوى (٤١) نصاً أدبياً نثرياً، والذي يجزم بعض الباحثين أنه لم يتفق في العصر الحديث أن يشترك أبناء أسرة واحدة في تأليف كتاب بهذه الصورة الجماعية وإهدائه إلى والديهم.

ومع أن سيد هو رائد الاسرة وكبيرها الذي أشربها حقيقة الإسلام وألهمها حب الادب، وفتح لأفراد الاسرة أبواب المجلات التي ترأس تحريرها ليكتبوا فيها كغيرهم من الموهوبين، فإن نصوصه في الاطياف ترد في النهاية، وتتقدم نصوص الصغرى حميدة، تليها أختها الكبرى أمينة. وفي تقديمهما على الأخوين الكبيرين ما يشير إلى حنو الرجلين على أختيهما، ورعاية رائد الأسرة لأختيه الصغريين [٩].

لقد وصف عبد الله العقيل كتاب الأطياف الأربعة قائلاً: " الأطياف الأربعة إذاً إبداع أسري، فيه الذاتي والقصصي، والفلسفي والفكري، وفيه القصة والخاطرة، ويغلب عليه أن يكون أدباً متميزا، فالأطياف الأربعة تنتمي إلى الأدب في غالبها، عدا ما كتبه سيد فيها، فهو من الأدب الرفيع كالشعر المنثور، ويغلب عليه أدب الخاطرة التي تتميز بالإيجاز والعمق في التعبير عن الفكر والوجدان. ويمتاز سيد عن إخوته بأشياء، ويشاركهم في أشياء، واتفاقه معهم وامتيازه عنهم هو اتفاق وامتياز فرضتهما مع ريادته لأسرته فكريا واجتماعياً؛ فهو الأب الروحي والراعي الرسمي الذي مثل لهم الأسوة في الشدة والرخاء" [١٠].

هذا وجدير بنا ان نشير ههنا إلى مسألة مهمة، وهي أن معظم شعر سيد قطب كان قبل مرحلة التزامه بالإسلام والبروز بوصفه مفكراً إسلامياً، إذ أن جل قصائده عدا قصيدتي (هبل ... هبل) (وأخي أنت حر وراء السدود) كتبها قبل سفره إلى أمريكا، وعلى الرغم من أن موهبة سيد الشعرية ظهرت منذ كان في مقتبل العمر صبياً يافعاً، إلا أن شعره لم ينضج قبل بداية الثلاثينات عندما كان يدرس دار العلوم في القاهرة، ثم بدأ قول الشعر عنده بالتناقص، فلم يُعثر له في عام ١٩٣٥ إلا على قصيدتين، وأما السنة التالية فلم تُعثر له على قصيدة، وفي السنتين اللتين قضاهما في أمريكا لم يكتب غير قصيدتين فقط، أما بعد عودته من أمريكا وتغير مساره الفكري فلم يقل شعراً سوى القصيدتين المشار إليهما آنفاً [١١].

المبحث الأول: القضايا والاتجاهات الشعرية في ديوان سيد قطب:

لقد مرّ شعر سيد قطب كأي شاعر آخر بمراحل مختلفة تولدت منها أنماط متباينة من النتاجات التي تباينت بدورها جودة وأغراضاً، فلقد أمضى الشطر الأول في مرحلة الطفولة من حياته في القرية، بما في حياة الأرياف من بساطة العيش وبدائية الوسائل التي كانت فيها، ولا شك أن ذلك كان ينعكس على طريقة تفكيره وحجم آماله. ولكن وعلى الرغم من ذلك، لا بد من القول ههنا بأن "سيد قطب شخصية سوية التكوين، متماسكة البناء، نمت نمواً طبيعياً بعيداً عن الشذوذ والمفاجآت ... له قلب كبير، وهمة عالية وشهامة في الطباع، ونفس ودودة، وهدوء في الملامح، وحديث جذاب، وقلة في الكلام، وصوت منخفض" [١٢] ولا ريب فهذه الخصال الحميدة انعكست في شعره، لأن شعره بالتالي كان منبثقاً من ذلك القلب والفكر بما فيهما من مزايا، ومما يجدر بالوقوف عنده، "خلو شعر سيد من الفخر و الهجاء، وبعده عن الغزل الحسي الفاحش، الذي يصدر عن شهوات النفس وملذاتها وعبث الشباب ومجونه، ويتركز حول مفاتن المرأة الجسدية" [١٣].

وقد تغيرت وفق تغيرات فكره نظرة الناس له وخلعهم الألقاب المتباينة عليه، فهو: "الإمام الشهيد عند الإسلاميين، وهو المفكر الشهيد عند مجموع من المفكرين، وهو الناقد الأدبي عند جماهير النقاد، وهو الشاعر الرومانسي المنتسب إلى مدرسة (ابوللو) [١٤]. وقد يكون انقسام الناس في رجل على رأيين مختلفين بشدة؛ من أمارات تفوق الشخصية وقوة الفكرة عند الذي انقسموا إزاءه، بغض النطر عن صوابية آرائه من عدمها.

لقد صنّف عبد الباقي محمد حسين الذي اضطلع بجمع ديوان سيد قطب قصائده حسب الموضوعات التي تعالجها إلى أغراض ثمانية، وهي: التمرد، والشكوى، والحنين، والتأمل، والغزل، والوصف، والرثاء،

والوطنيات. لكننا سنركّز على بعض الاتجاهات البارزة والقضايا المهمة من بين تلك الأغراض في شعره، ونسلّط عليها الضوء بصورة موجزة:

أولاً: نزعة الحنين في شعره:

يُعد الحنين اتجاهاً شعرياً بارزاً في شعر سيد قطب وقضية تؤرّقه، لتمُدّ جسوراً من العواطف والأشواق بينه وبين الماضي، تعود به القهقرى إلى أيام الطفولة والصبا، عندما كان في قرية موشة، حيث صوّر الكثير من المشاهد الحسية والمعنوية عن تلك المرحلة، وسلط عليها أضواء وصفه في كتابه (طفل من القرية) نثراً، وهو يحنّ إليها في شعره ويتغنى بها بصوت أشبه بالنشيج، إنه يكاد يطير شوقاً وتحناناً إلى تلك الأيام الغابرة السعيدة فينشد لها:

إذا ما ذكرت زماناً تقضّى بديعَ الرسوم جميل الأثر
تراءى لنفسي عهد الصغر فتشتاق نفسي لعهد الصغر[١٥]

ولا يقف الأمر عند ذلك الكم الهائل من الحنين للماضي، بل إنه يمقت بقدر ذلك بل أضعافه، حاضرَه الذي يعيش فيه، وإذا به على النقيض من ماضيه السعيد، مليء بالشقاء جدير بالمقت، فيقول:

الأ يا رعى الله عهد الصغر الأ يا لحى الله عهد الكبر
فذلك عهد صبوح أغـر وهذا بوس ظلـوم قتِر[١٦]

وتثور أمواج الحنين في قلب الشاعر، فإذا بالماضي متجسداً أمامه جثة هامدة مؤلمة المرأى مُوجِعة المنظر، فيهُمّ برثائه ويعجز في نهاية المطاف عن ذلك فيقول في قصيدة (رثاء عهد):

أأنا أرثيك يا عهد المنى أأنا أرثيك يا عهد الوفاء
أنت يا عهد أأرثيك أنا لا فلن أقوى على هذا الرثاء[١٧]

إنه يحنّ إلى الطبيعة النقية في الريف، حيث زقزقة الطيور وأصوات الحيوانات والحشرات تصنع لحناً مُحبباً إلى نفس الشاعر:

فإذا مواكبُ للجمال وديعة جمعت طرائفها يدُ الإلهامِ
للطير فيها للأزاهر، موكب للناس، للحشرات، للأنعامِ[١٨]

ثم يقوده فرط الحنان أن يفتدي في آخر القصيدة الريف بمواهبه وجسده الذي أنهكته الغربة وبُعد الديار، فيقول:

يا ريف مصر وانت سر بقائها أسلم فدتك مواهبي وحُطامي[١٩]

ثانياً: الحيرة والتأمل في الموت والحياة والكون:

كانت نشأة سيد قطب منذ صغره نشأة مختلفة عن أقرانه من الأطفال الآخرين في القرية، فلقد كانت أمه تُشعره دوماً بأنه كبير، وتهيؤه لأن يتحمل المسؤولية والأوزار الثقيلة التي تنأى به عن تصرفات الأطفال، وقد عزا سيد السبب في ذلك وهو يخاطب أمه بعد رحيلها إلى: "الكبرياء التي أودعْتنيها منذ الطفولة، فجعلتني أهرب من كل مظاهر الطفولة"[٢٠].

إذا جاز لنا أن نقسم حياة سيد قطب إلى مرحلتين أساسيتين مختلفتين ونسميهما مرحلة ما قبل الالتزام الإسلامي وما بعده، من قبيل تصنيف شعر أحمد شوقي إلى ما قبل النفي وما بعده، فإن المرحلة الأولى من حياة سيد قطب الأدبية كانت تتسم أحياناً بالضياع والحيرة والاقتراب من التيه، يعبر سيد في قصيدته: (الشعاع الخابي) عن تخبطه في ظلام الأفكار وصحاري اليأس فيقول:

لاح لي من جانب الأفق شعاع بينما أخبط في داجي الظلام
في صحاري اليأس أسري في ارتياع حيث تبدو موحشات كالرجام[٢١]

إنّ كثيرا من تأملات سيد قطب كانت استغراقاً في الماضي، ومقارنات بينه وبين الحاضر، فما الحاضر غير عيشة تُشبه في ركودها وصمتها حال أهل القبور، ولا تجدي الأمنيات فتيلاً عن التحسر على فقد الواقع الجميل وما حلّ محله، يقول في قصيدة (البعث) التي نُشرت في عام ١٩٣٢:

هكذا عشت كسكان القبور في ربيع العمر، في العهد النّضِر

أه لو أسطيع للماضي الحسير رجعةً من بعد ما جاء ومرّ[٢٢]

وهو تارة يعبّر عن رغبته في الخلود والبقاء السرمدي، متحسراً على مضيّ الأوقات سراعاً، فهو يستبطيء عقارب الساعة التي تنهش الزمن الجميل وتلتهمه، يقول في قصيدة (مر يوم):

أهو يومٌ في الرؤى لا في الزمان والحقيقة أم ترى يوم طواه العقربان في دقيقة [٢٣]

ولكنه يأتي تارة أخرى ليَعُدّ الخلود أخدوعة ليس إلا، يقول في قصيدته: (خدعة الخلود) المنشورة عام ١٩٤٨ قائلاً:

ما اللهفة الكبرى تراود في جنون؟ كبصيص نار في الرماد الفاتر

مرّت عليها كلها كف السنين ويحي وويحك نحن ذكرى عابر[٢٤]

إن سيد قطب فيما يرى الباحث يشترك مع جميل صدقي الزهاوي في كثرة التأملات والوقفات العقلية وحشو الشعر بالمعاني غير الشاعرية، وأحياناً في التعابير ذات الأبعاد الفلسفية والعقلية، ولكنه يختلف عنه في في مسألة الإيمان ولا سيما في المرحلة الثانية من حياته اختلافاً غير قليل، يقف سيد متأملاً غارقاً في تأمله في ماهية الضفة الأخرى لهذه الدنيا الداثرة، حيثُ ثَمّ سينمحي معالم الزمن وتتلاشى حدود الكون، وهو يقول:

إلى الشاطئ المجهول والعالم الذي حننت لمرآه، إلى الضفة الأخرى؟

إلى حيث لا تدري إلى حيث لا تُرى معالم للأزمان والكون تُسْتَقْرا [٢٥]

ثالثاً: الاتجاه الإسلامي في شعره:

على الرغم من أن سيد قطب نشأ في بيئة محافظة وأسرة تحترم الإسلام وتعمل وفق تعاليمه، إلا أنه إلى حين عودته من أمريكا لم يكن يتصرف أو يكتب بوصفه كاتباً أو شاعراً مسلماً منضبطاً بشريعة الإسلام وعقيدته، ولذلك لا يشعر القارئ لديوان سيد قطب أنه يقرأ لشاعر على درجة عالية من الالتزام الإسلامي، ولكن ذلك النمط الذي يجاهر فيه بما يخالف الشريعة من الشعر قليل في ديوانه، فتراه مثلاً يقول:

أهي النّشوة أم وقْدةُ جمرٍ إنني أحسستُها تذكُو بصدري

وبروحي لهفة تبعَثُها هذه القُبلة من أعذب ثغرِ[٢٦]

ولكنه لاحقاً انقلب على الضد مما كان عليه تماماً، إنها أعجوبة الأقدار،" فمن يعرف بداية سيد قطب، مُحال عليه أن يتصور نهايته، بدأ ناقداً للأدب وانتهى ناقماً على الثورة، بدأ شاعراً رقيق الحس مُرهف الانفعال، ينظر إلى الحياة نظرة فنان، وانتهى غاضباً ساخطاً متمرداً محرضاً على الكفاح المسلح ضد حكم جمال عبد الناصر، بدأ متفتحاً على الدنيا، متحمّساً للمعارك الفكرية، وانتهى معلّقاً في إحدى المشانق، بداية لا علاقة لها بتلك النهاية" [٢٧].

فجميع ما في ديوان سيد قطب من قصائد لا يمكن تصنيفه ضمن الأغراض الدينية أو ما يُعرف بالاتجاه الإسلامي كما هو الحال لدى الشعراء من أمثال محمد إقبال أو عمر بهاء الأميري أو وليد الأعظمي، يُستثنى من ذلك قصيدتين كتبهما بعد مرحلة الالتزام والانخراط في العمل الحركي، وهي قصيدة (هُبلٌ ... هُبلْ) التي يقول في مطلعها:

هُبَلٌ ... هُبَلْ رمز السخافة والدجل من بعد ما اندثرتْ على أيدي الأباة

عادتْ إلينا اليوم في ثوب الطغاة تنشّقُ البخورَتُحرقه أساطير النفاق

مَنْ قُيّدتْ بالأسر في قيد الخنا والارتزاق وثنٌ يقود جموعهم ... يا للخجل [٢٨]

وفي هذه القصيدة يبدو تغير النبرة الشعرية واضحاً لدى الشاعر، كما يبدو من خلال الجرس الشديد للكلمات، والاعتراض على الواقع وانتقاد السلطات، أن تحولاً منهجياً ونقلة نوعية حدثت في فكر الشاعر وتصوراته، إذ أنك لا تجد قصيدة من هذا القبيل في ديوانه، سوى قصيدته الأخرى ولا ثالث لهما عنده والتي حظيت بحصة الأسد في الشهرة، وذاع صيتها ولا سيما بعد أن اختار الشاعر الموت في سبيل قضيته، ولم يستجب للدعوة التي وجهت له قُبيل التوجه إلى حبل المشنقة؛ بأن يقول ما يكون ذريعة بيد الحاكم لإصدار عفو صحي عنه، بسبب الأمراض المزمنة التي كان يُعاني منها [٢٩]، يقول في قصيدة (أخي) [٣٠] والتي أصبح سيد قطب يخاطب المسلم خطاباً منهجياً متسماً بروح الأخوة والوحدة الإسلامية:

أخي أنت حر وراء السدود أخي أنت حر بتلك القيود

إذا كنت بالله مستعصماً فماذا يضيرك كيد العبيد

وفيها بشّر بأن القوى المناوئة للإسلام لا ريب ستندحر، وأن مستقبلاً زاهراً ينتظر المسلمين:

أخي ستبيد جيوش الظلام ويشرق في الأرض فجر جديد

وحرص في تلك القصيدة أن يعهد إلى إخوانه بمواصلة درب الكفاح من أجل قضيتهم، وأن تظل أسلحتهم على كواهلهم للدفاع عن الإسلام وعن المظلومين:

أخي هل تُراك سئمت الكفاح وألقيت عن كاهليْك السلاح

فمن للضحايا يواسي الجراح ويرفع رايتها من جديـــد

كما انّ القصيدة احتوت على نعي الشاعر، وأنه عدّ نفسه في عداد الأموات، وطلب إلى إخوانه أن يستنيروا بفكره وبما مات عليه، وألا يؤدي موته إلى تثبيط عزائمهم وتباطؤهم على الدرب الذي بدأه هو قبلهم:

أخي إن ذرفت عليّ الدموع وبلّلت قبري بها في خشوع

فأوقد لهم من رفاتي الشموع وسيروا بها نحـو مجد تليد

تلك كانت مختارات من أبرز أغراضه، مررنا عليها مرور الكرام، لأن الاستقصاء فيها مما يطول ويخرج عن المنهج الذي وضعناه لهذه الدراسة.

المبحث الثاني: قضية المرأة في ديوان سيد قطب:

احتلت قصائد الغزل والقصائد المتعلقة بالمرأة بصورة من الصورة، مسافة واسعة من ديوان سيد قطب، فلم يكن هناك غرض شعري آخر يدانيه أو يبلغ شأوه من الأغراض الأخرى، وقد تناول سيد قطب المرأة في قصائده من منظورات شتى ورؤىً متباينة، وسنحاول إماطة اللثام عن صورة المرأة في شعره من خلال بعض الوقفات:

أولاً: مفهوم الغزل في شعر سيد قطب:

لا يبدو أن تصنيف شعر سيد قطب ضمن الأنواع المعروفة من شعر الغزل أمراً ميسوراً، فما شعره في هذا الغرض شبيه بشعر شعراء الغزل الحسّيين من أمثال عمر بن أبي ربيعة أو أبي نواس ومن على شاكلتهما، فالرجل كان حتى قبل التزامه بالدين حاملاً لكثير من الخصال الحميدة، محافظاً على التقاليد المجتمعية المرعية، ولا أدلّ على ذلك من كتابته لبعض المقالات في حقبة الاربعينات، حيث "نشر مقالاً في أربع صفحات بعنوان (المطربون والمطربات هم الطابور الخامس في مصر) وقد أشار فيه إلى آثار التهتك الأخلاقي الذي تتركه أخلاق المطربين و المطربات في حياة الأسرة ... كما كتب عدداً من المقالات تحت زاوية (من لغو الصيف) تناول فيها أسواق الرقيق التي تتناول المرأة في الحفلات على الشواطئ عارية أو شبه عارية" [٣١] ولا كانت قصائده عن المرأة يشبه تماماً قصائد الذين عُرفوا بالشعراء العذريين، وإنما كان نسيجاً خاصاً بنفسه، يمزج حديثه عن المرأة بانطباعاته الفكرية التي ما إن يستطيع منها فكاكاً، وبما استمده في بيئته الأولى عن المرأة؛ فترجم كل ذلك شعراء تباين من حيث المضمون عن غيره. لكن غزله على كل حال غزل عفيف، بل ربما يشد إليه عطف القارئ وشفقته، لأنه يبدو

في كل تجاربه ومواقفه من المرأة هضيم الجناح مغبوناً، وهو يواجه كل ذلك بالصبر بالجميل، وبآهاته الحرّى التي يطلقها عبر كلماته الحزينة تارة، والتعابير الغامضة التي تحتاج إلى التفسير تارة أخرى.

الغزل في شعر سيد قطب سرد لحكايا الاسى، واسترجاع لمشاهد الحزن الأليم، فلقد احب سيد بقلبه المليء بالمحبة و أحاسيسه المرهفة أكثر من فتاة، وتخيلها شريكة لحياته، ولكنه لم يتوفق في الارتباط بواحدة منهن، حبه الأول كان لفتاة صغيرة في القرية، ومع أنها لم تكن بمقاييس الجمال المعهودة جميلة فاتنة، إلا أن سيد قطب تعلق قلبه بها وامتلأت نفسه أملاً لتكون شريكة حياته، ولكنها تزوجت لتترك في نفس الشاعر جرحاً لا يندمل، وقد ذكر سيد هذه القصة في روايته طفل من القرية، ووصف عينيه اللتين اغرورقتا بالدمع عند سماع خبر زواجها [٣٢]. أما حبه الثاني التي كانت لفتاة في القاهرة، فهو أيضاً باء بالفشل وعاد عليه بالعذاب، وقد جسّد سيد تلك الإخفاقة العاطفية في العديد من القصائد مثل: تطهير الصنم، وعبادة جديدة، وحب الشكور، ونهاية المطاف، وبعد الأوان، والكأس المسمومة، يقول عنها في قصيدة (حلم الفجر) وهو يجأر بما أصابه من ضيم المحبة بدل هنائها، والفتاة التي عشقها استحالت إلى مصدر لأوجاع لا تنتهي له، ولكن الصدمة أن ذلك لم يحَل ون بقاء تعلقه بها، فهي النغم الذي يُطرب روحه، وهي الرجاء الذي يتراءى كضوء يلوح من بعيد ليُضيء مساحات الظلام في نفسه الحزينة، ولعل السبب في ذلك هو حزنه الذي لا يبرحه، وأساه الذي يستوطنه، فهو في بحثه الدؤوب وراء الأمل المفقود يتشبث في دنيا الأمنيات ولو بقشة ليُقنع نفسه ويطرد نها اليأس:

عجباً أنت ما تزالين حلْـمي ومثالي وفـكرتي ونشيدي
ما تزالين فـتي خيالي رمزاً لرجاء منوّرٍمـن بعيد
مـا تزالين حافزاً لجهودي مـا تزالين غاية لوودي [٣٣]

وفي قصيدة (نظرة موحشة) تحتدم المشاعر المتباينة عنده ويقف إزاءها معاتباً محبوبته، بل لائماً نفسه التي بين جنبيه، وهو يكابد أوجاع الشجن وآلام الفراق فيقول:

أين ساعات مضتْ قبل الفِراقِ ملؤها العطف ورياها الوفاءْ [٣٤]

إنه افتقاد لسـاعات مميزة في حياته ولّت، كان فيها غائباً عن دنياه، مغموراً في بحر حنانها الذي كان يستشعره، وفي ذلك دلالة تعبر عن مدى الصدق الذي عليه الشاعر ويوحي كذلك إلى حسرته على السرور الذي لم يكتمل ويُشير كذلك إلى فرط الحالة العاطفية التي يعيشها الشاعر، لقد كانت المرأة لسيد قطب -كما يصفها - نفحة تهبّ عليه أشبه بنسيم الحياة الذي ينفخ الروح في الجسد الميت:

إيه يا ملء فؤادي ومُناه إيه يا رمز الأماني والأمل
يا نسيماً ضم أنفاس الحياة نفحة تُهدي إلى ميت أجلْ [٣٥]

إن ما كان يأمله سـيد قطب من عالم النسـاء يبدو أنه كان للخيال أقرب، إذ أنه لم ينله منها إلا سـراباً عالقاً في يديه، وأحزاناً تركت بصماته وآثاره عليه، إن سيد قطب في تلك الأبيات كأنه صوت واحد لا يتفاعل معه غيره، فبدل أن يكون هو وحبيبته، كان هو ونفسه الجريحة التي تنزف من الحرمان.

إن المرأة عند سيد نظرة شاعرية وأمل كالآمال، تشعل في نفس الشاعر ضرام التحدي والموهبة، ونظرتها ترياق سحري يُشعل المواهب وتحقق الرغائب:

أحبك كالآمال إذ أنت مثلها تُذكّين في نفسي أعزّ مواهبي
وما هي إلا نظرة شاعرية تعبّرُ عمّا شئته من رغائب [٣٦]

ثانياً: عدم وضوح صورة المرأة عند سيد قطب:

لطالما رأى سيد قطب المرأة لغزاً، فهو رغم انتقاله إلى حياة مختلفة في القاهرة، إلا أنه لم يكن يستطيع من ماضيه في القرية وتصوراته عن المرأة فكاكاً، وشتّان بين تلك الصورتين؛ فتاة القرية وفتاة القاهرة! يقول في قصيدة (اللغز) إذ تستبدّ به الحيرة ما بين كون المحبوبة لغزاً عصياً، أم فتنة تبغي الولج إلى مغاليق قلبه الحزين:

إن قلبي لم يكن ينزو فماذا سال في كفك من سحر عجيب

أهو اللغز الذي تحوين هذا؟ أم هي الفتنة مفتاح القلوب [٣٧]

وهو في قصيدة (هدأت يا قلبي) يستسلم لهيمنة ذلك اللغز ويُطالب قلبه بالسكون بعد الهيجان، فجمرة الحب لا بد لها من برود عاجلاً أم آجلاً، ولكنه في لحظة صفاء مع الذات، يُعلن أن ما تخيله أسراراً وألغازاً لم يكن كذلك:

ستبصر الورد ورداً والسماء كما تلوح للناس والأكوان أكوانا
وتُبصر الحب شيئاً أنت تعرفه وليس سرّاً ويبدو الإلف إنسانا
خلعت ثوباً عليه أنت واهبه لولاه ما لاح في الانظار فتانا [٣٨]

وربما يكون السبب الكامن وراء استحالة المرأة إلى لغز في منظور سيد قطب، هو الإزدواجية التي كان يشعر بها ما بين رؤيته للمرأة في العقل الباطن أو ما يسميه علماء النفس بالأنا الأعلى، وبين ما كان يجده من نوازع النفس وجنوح الفطرة بوصفه رجلاً إلى النساء، فهو يرى كل شيء من المرأة كبيراً وجميلاً، فنظرتها تُشعره بالوحشة (النظرة الموحشة)، وهو لا يتسلّى بشيء دونها، بل السلوان ليس إلا أكذوبة (أكذوبة السلوان)، والمرأة حلم الحياة كانت لسيد (حلم الحياة)، بل إن ابتسامتها بعد العبوس بمثابة الحياة بعد الموت (بسمة بعد العبوس أو حياة بعد الموت)، بل الكون برمته مع محبة المرأة، كون جديد يزهو بمحبتها (الكون الجديد) تلك عنوانات قصائد سيد عن المرأة، تكاد تفصح عما في خبيئة نفسه، حتى من قبل الخوض في تفاصيل القصيدة ومعترك المعاني.

ثالثاً: المرأة عند سيد قطب قضية نظرية:

لعل من نافلة القول إن سيد قطب على الرغم من حرصه على الارتباط بامرأة تكون له شريكة لحياته وملهمة لشعره، إلا أنه لم يوفق إلى الزواج وظل أعزباً حتى لقي ربه مشنوقاً من أجل قضيته الإسلامية، والتي ربما بدورها كانت أحد الاسباب في عدم زواجه. ولذلك ظلت معرفته بعالم النساء معرفة نظرية، لا تعدو أن تكون من قبيل معلومات الكتب عنهن، وقد شكلت البيئة الدينية المحافظة التي ترعرع فيها في أجواء القرية، حاجزاً آخر من الحواجز التي كانت تقف بين سيد وبين فهم النساء حق الفهم. ولكنه كان يحمل قلباً شاعراً وأحاسيس مرهفة، يتبدّى ذلك في قصائده عن المرأة، والتي يشعر فيها بالتألم والحرمان، ولا تكاد جهوده في ذلك الصدد تنتهي بجدوى، يقول سيد في قصيدة (طيف) معتبراً المرأة طيفاً وخيالاً حلواً بعيد المنال، يتودد إليه وينشد قربه ورضاه:

هو هذا أنت يا طيف؟ فأهلاً مرحباً يا طيفَ من أهـــوى وسهلا
هوّمَ النومُ وأرخـــى ريشه واحـــتواني بجناح قد تدلّـــــى [٣٩]

رابعاً: المرأة في شعر سيد قطب كائن غامض:

وربما كان غموضها من غموض تصوراته عنها، فقد وقف إزاء عالمها متهيباً، يرمقها بنظراته الحيرى، ويلوذ بشعره في استكناه حقيقتها والسعي للوصول إليها، فنظرات المرأة الاثيرة عند سيد شعاع يصاحبه الإلهام وهي بمثابة الأنوار الكاشفة التي تنير مواضع الظَّلمة في نفس الشاعر، يقول في قصيدة (عينان):

إلى أي سرّ بل إلى أيّ طلسمِ توجّهَ من عينكِ شعاعُ مُلهِمِ
إلى مخبأ الأسرار في نفس كاهن تُحجّبها أستار دُجوان مُظلمِ [٤٠]

والشـاعر رقيق القلب لا يطيق أن يرى الحزن مخيماً على وجه المحبوبة، يرى نفسـه الأجدر بأن يحمل عنها الأحمال الجسيمة، فكأنها يُحاكي عمر بن أبي ربيعة في قوله:

إنَ من أعظم الكبائر عندي قتلَ حسناءَ غادةٍ عُطبولِ
قُتلَتْ باطلاً على غير ذنبٍ إنّ لله درّها مـــن قتيلِ
كُتب القتلُ والقتالُ علينـا وعلى الغانياتِ جرُّ الذّيولِ [٤١]

فتراه يُسـارع في اسـتنطاقها والاسـتفسـار عن السـبب المكنون لذلك الطارئ الذي حل بها، فيقول في قصيدة (حدثيني):

حدثيني بمستثار شجونـــكِ واكشفي لي عما اختفى من شئونكِ

حدّثيني بمتا تكنّين إنـــتي أنـــا أولـى بعئه من دونكِ [٤٢]

خامسا: سيّد يحب المرأة بقلبه وبفكره معاً:

فهي له منبثَق ثرّ ترفده بالأفكار والإلهام، سيد قطب في حبه للمرأة يختلف عن غيره من الشعراء، فهو لا يترك حبل القلب مرسلاًعلى غاربه، وإنما يحب بعقله وقلبه معاً، فالمرأة عنده ليست جسداً في المقام الأول، وإنما هي جوهر تستثير فكره وعقله، قبل أن تستثير قلبه وعواطفه، يقول في قصيدة (لماذا أحبك):

أحبك حب الهوى والجنون أحبك حبّ الرشادِ الرزينِ
أحبك في القلب في وقـدة أحبك بالعقل جم السكون
وتبدين في قلبي المستطار كما تُسفرين بفكري الرصين [٤٣]

ذلك أن سيد قطب هو عرّف الشاعر بنفسه قائلاً: " الشاعر الحقيق بهذا اللقب إذن، هو الذي يحس بالحياة إحساساً عميقاً، ويترجم عنها للأحياء، هو الذي صاغته الحياة ليكون واسطة بينها وبين أبنائها الآخرين. فهو إنسان ممتاز، لأن الحياة صاغته على مثال خاص، ليؤدي لها مهمة خاصة" [٤٤]. ولا ريب بأنه كان في خاصية نفسه، أحرص الناس على أن يكون وفق التعريف الذي ارتضاه للشاعر؛ كي يكون ذا إحساس عميق بالحياة، يعمل على نمطٍ ذا خصوصية، ليُفلح في أداء مهمته الصعبة شاعراً في الحياة.

سادساً: حب سيد قطب للمرأة يتميز بعدم حسيّته:

إن سيد قطب ينطر إلى المرأة التي يحبها نظرة إكبار، فمحبته لها لا تتسم بالنزق البتّة، إنها محبة مكتملة وقورة في عُليا درجات البراءة والطُّهر، يصور لها محبته تصويراً فائق المكانة جليل المقام، حب لا نزوة فيه ولا إسفاف، وإنما هو بريء مما يتنافى مع الأخلاق السامية، يقول في قصيدته (عصمة الحب):

عصمة الحبّ من صنيع السماء وهي صنو لعصمة الأنبياءِ
يُخطيء الناس في الحياة استباقاً للذاذاتٍ قبل يـــتوم الفناءِ
وصراعً مـــا بين جسم وروح في شتيت الآمال والأهـواءِ
ولو أن الأنام قد ضمنوا الخلد أو أن الأرواح محض صفاء
لتساموا عن الخطيئة كـالقيدِ وعاشوا معيشة الطلقاءِ [٤٥]

وهكذا فالمحبة عند سيد معنى سامٍ يحظى بالإعظام ولا تبجيل عنده. ولو شئنا فيما يخص شعر المرأة، أن نجري مقارنة بين سيد قطب، وبين شاعر عربي آخر عُرف باتخاذه المرأة قضيته الأسمى والأشهر، والذي قضى حياته متغنياً بها حسياً، ألا وهو الشاعر نزار قباني؛ الذي وصفه أحمد زكي ابو شادي بأنه كان يستلهم الانوثة حسياً ومعنوياً في تعابير منوعة، بعضها مكشوف وبعضها رمزي، وقد تجلت بها جميعاً على حد وصف أبي شادي له الأناقة والرشاقة والتغني والموسيقى الخفيف الخاطف [٤٦]. فإن سيد قطب على الرغم من كونه لم يكن ينطلق في شعره عن المرأة من منطلقات شرعية أو مراعاة الحدود الشرعية، إلا أنه كان على العكس تماماً من الشعراء الذين عُرفوا باغزل الحسي فتميزت شخصيته بالرزانة وتميز هو بشكل فريد من التعامل مع المرأة.

لقد كان سيد على الرغم من رهافة حسه وشاعريته وإحساسه بالجمال، إلا أنه كان يقف عند جملة من الضوابط الخُلقية ويراعي العديد من الاعتبارات الاجتماعية والدينية رغم أنه لم يكن آنئذ متديناً.

سابعاً: المرأة في شعر سيد قطب مصدر للألم:

حاول سيد الزواج مراراً وتكراراً ولكنه لم يُفلح، ظروفه كانت صعبة خارج تحكّمه فيها وسيطرته عليها، فمرة أعاقه عن بلوغ غايته الانتقال إلى القاهرة، وأخرى السفر إلى أمريكا، وثالثة لأنه سُلب الحرية وأصبح قابعاً في السجن لسنوات طويلة، حتى إنه في المرة الأخيرة التي أفرج عنه فيها في عام ١٩٦٥م، وفي المدة القليلة التي كان خارج المعتقل، أعاد المحاولة للزواج تارة أخرى، ولكنه اقتيد للسجن ثانية وسرعان ما نُفّذ فيه حكم الإعدام [٤٧] لذلك ظلت تلك الأمنية حسرة في قلبه، وعالماً مجهولاً ومُحبّباً إلى نفسه، لم يستطع للوصول إليه وتجربة ذلك

العالم سبيلاً، والذي يقرأ شعر سيد قطب عن المرأة يشعر بتلك الحسرة ويتلمسها، يقول في قصيدته (الانتظار الخالد):

أنا بانتظارك ما أبالـــــي رضي الهوى حكم الجمال
غيبي إذن أو فاحـــضري أنا قانع في كل حـــال
راض بأحلامي التـــــي تُضفي عليك حَلْي الجـلال (٤٨)

ولذلك عندما لم يجنِ من محبته ثمارها، وأمحلت الأرض التي توهمها مروجاً ورياحين، جعل يكره حتى حبه؛ لأن قلبه تعب من وعثاء أسفاره من أجل المحبوب، وآن له أن يضع عصى الترحال ليرتاح قليلاً، يقول في قصيدته (الحب المكروه):

كرهتك أيهـــــا الحبّ كراهة محنق غاضب
وضج بهولك القـــلب وما تبلوه من واصب (٤٩)

بل إن كراهته للحب من طول حسرته، دعاه لأن يعلن ارتحاله منكسراً تاركاً ذلك العالم برمّته قائلاً:

وداعاً أيها الحبُّ كرهتك فارتحل قُدُما
كرهتك لم يعُد قلبٌ بصدري يحمل الألما
سأحيا خامد الحسّ فلا حبٌّ ولا أملُ
ستخبو شعلة النفس ويمضي ذلك الأجلُ (٥٠)

ثامناً: الرمزية سمة لحب سيد قطب للمرأة:

لا يبدو للباحث في قصـــائد ســـيد قطب عن المرأة، أنه كان بالضـــرورة يخاطب امرأة بعينها، ولو أراد المتقصـــى أن يعُدّ بعض قصـــائده عنها رمزاً إلى مقصـــود آخر، لكان بإمكانه أن يفعل ذلك، وبالبحث في ســـيرة الشـاعر و محاولات الزواج التي لم يحالفها النجاح، يتبين بأن النسـاء اللاتي يعنيهن سـيد في قصـائده، لئن كنّ في الحقيقة ذوات محددة ومتعددة، فإنهن بالتالي غدون عنده رمزاً لمحن لا تنقطع، وجروح ناغرة لا تندمل، وفيما يخص تسـميته لامرأة واحدة في شـعره، وكما يقول بعض الباحثين بأن سـيداً "لم يكن يتغزل بامرأة بعينها، ويبدو أن للشـــاعر عدة نســـاء مجهولات، ولكنه نظم قصـــيدة واحدة في المرأة باســـم (توارد خواطر)" (٥١) فإنه في تلك الحالة أيضاً يُستبعد أن تكون المعنية امرأة بعينها، ولاسيما أن اسم سعاد لها رمزية في الشعر العربي، يقول سيد في ختام تلك القصيدة:

الحبّ؛ يا للحبّ! يرتجلُ المنى من غير تدبير وغير نظام
إني وثقت به وما هو باخل بك يا سعاد بيقظتي ومنامي (٥٢)

تاسعاً: في قضيته مع المرأة لم يخرج سيد قطب بنتائج إيجابية:

لم يأل سيد جهداً ولا ادخر وسعاً في حب المرأة التي كانت حلم حياته، فتغنى بهواها وصافاها، وقدم لها قلبه على طبق من ذهب، ولكنه كان كالمحارب المهزوم الذي لم يشـفع له إخلاصه في خدمة قضيته؛ فآب منكسـر الخاطر مجروح الفؤاد، وقد بلغ الغاية من اليأس وجأر بما يشـعر به من الضـيم، وبأن حُبّ الحبيبة بات كالسّـمّ يسـري بين جوانحه، فهي اسـتحالت من ملاك في وهم الشـاعر إلى شـيطان في واقع الأمر، وإلى أفعى ينفث السّـمّ الرعاف عليه، يقول سيد قطب:

أقْلاك أقلاكِ كالشيطان أقلاكِ اقلاك كالسمّ جـدّ فتّاكِ
أقلاكِ إنك في نفسي وفي زمني وفي حياتي أفعى ذات أشواك (٥٣)

ولعل الله سـبحانه لم يخلق عبده هذا الشـاعر الأسـيف الحزين لحب النسـاء ولا رضي له أن يَهَبَ قلبه لهنّ في مغامرات ومهاترات تخلّده مُغامِراً من أجل النسـاء! بل ربما لم يُخلق ليكون شـاعراً أصـلاً، لأنه لاحقاً وهب قلبه و عقله وقلمه لدينه طائعاً، حيث قرر سـيد قطب أن يموت من أجل قضـاياه الإسـلامية التي كان يؤمن بها،

والتي وضع روحه على كفيه في سبيلها، فمات مفسراً للقرآن ولم يمت شاعراً، ومضى إلى حبل المشنقة مسروراً، دون أن تتسنى له فرصة أن يؤويه بيت مع امرأة ممن أحبهن في يوم من الإيام، يقول سيد في قصيدة (انتهينا) التي كتبها عام ١٩٤٥م وكانت من أواخر ما كتب عن المرأة، يودعها ويودع حبها، ويعلنها صريحة بلا مواربة، أنه خرج من تلك المعركة خاسراً مغلوباً، وقد آن له ان تهدأ خواطره الهائجة، وتسكن روحه الشّرود ويخلد إلى الراحة أخيراً، ولو أن الوقت كان متأخراً:

و أنا المكدودُ فليُلق إلى الأرض عصاه آن للمُجهد أن تَسكن في الأرض خطاه
آن أن يَصمت لا تهتف شوقاً شفتاه آن أن يُغمض لا توقظه وهناً رؤاه
جاوز الجُهد قُواه فتهاوتْ قدماه (٥٤)

الخاتمة:

١. تميز موقف سيد قطب من المرأة بنوع من العاطفية الشديدة الممزوجة بالشعور بالحرمان، الذي كان منبثقاً من معطيات حياته الأولى في القرية قبل الانتقال إلى القاهرة.

٢. سيد قطب كان مثالياً في تعامله مع المرأة في شعره، ولم تكن له تجارب عملية في العيش مع النساء، وقد بقيت تربيته الأسرية المحافظة مهيمنة عليه ومؤثرة في تصرفاته، وظل حتى قبل التزامه بالإسلام يراعي في قصائده عن المرأة الأعراف والحدود الاجتماعية المرعية.

٣. كانت المرأة في مرحلة من مراحل سيد قطب، ملهمة لأدبه ولا سيما في قصائدها عنها والتي شكلت النسبة الأوفر في الديوان.

٤. بدا سيد قطب في قصائده عن المرأة، وقد هيمنت عليه الرؤى الفكرية والتصورات العقلية، حيث كان ينتظر من المرأة أكثر مما ينتظر منها معظم الناس، وفي ذلك وقع في صِدام نفسي داخلي فيما بين المأمول الجميل والواقع المرير.

٥. بعد أن أحس من نفسه القنوط واليأس؛ انتهى سيد قطب مع المرأة كقضية تناولها في ديوانه إلى طريق مسدود، ورفع حيالها الراية البيضاء، تاركاً تلك شعر المرأة والساحة الشعرية بأسرها إلى اللا عودة، ليبدأ مرحلة جديدة مغايرة أخرى شكلت نهايته التي لا تمُتُّ إلى بدايته بأية وشيجة.

الهوامش:

(١) سيد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ١٩٩٤، ص١٥.
(٢) ينظر: طفل من القرية، سيد قطب، منشورات الجمل، ألمانيا، ١٤٢٨هـ، ص٩.
(٣) مشاهد القيامة في القران، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة السدسة عشرة، ٢٠٠٦، ص٥.
(٤) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ار الشروق، الطبعة السابعة عشرة، ٢٠٠٤، القاهرة، ص٥.
(٥) سيد قگب من الميلاد غلى الاستشهاد" ص ١٩-٢٢.
(٦) يُنظر: سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، ص١٠٨-١١٠.
(٧) ينظر المصدر السابق، ص١٢٥-١٣٣.
(٨) المصدر السابق، ص ٥٢٣ فما بعدها.
(٩) ينظر: الاطياف الأربعة، محمد قطب وآخرون، دراسة وتقديم عبد الله العقيل، مركز الإعلام العربي، الجيزة، ٢٠١٥، ص١١-١٢.
(١٠) المصدر السابق ص ١٣.
(١١) ينظر: سيد قطب الأديب الناقد، عبد الله عوض الله الخباص، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب - الجامعة الاردنية في عام ١٩٨٢.
(١٢) ديوان سيد قطب، عبد الباقي محمد حسين، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط الرابعة، ٢٠٠٩، ص١٢.
(١٣) المصدر السابق نفسه، ص١٥.
(١٤) الأعمال الشعرية الكاملة، سيد قطب، دراسة في أشعار سيد قطب لحسن حنفي، مركز الناقد الثقافي، ط الأولى، دمشق، ٢٠٠٨، ص٥.
(١٥) ديوان سيد قطب، جمعه عبد الباقي محمد حسين، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٩، ص٧٣.
(١٦) ديوان سيد قطب، ص٧٣.
(١٧) ديوان سيد قطب، ص٧٨.
(١٨) ديوان سيد قطب، ص٨٤.
(١٩) ديوان سيد قطب، ص٨٦.
(٢٠) الاطياف الأربعة، ص٢٠٣.
(٢١) ديوان سيد قطب، ص١١٣.
(٢٢) ديوان سيد قطب، ص ١١١.
(٢٣) ديوان سيد قطب، ص٦٤.
(٢٤) ديوان سيد قطب، ص ١٤٩.
(٢٥ ديوان سيد قطب، ص ١٠٣.
(٣١) ديوان سيد قطب، ص ١٨٦.
(٣٢) ينظر: سيد قطب من القرية إلى المشنقة، عادل حمودة، دار الخيّال، ط٣، ١٩٩٦، ص١٣.
(٢٨)شعراء الدعوة الإسلامية، أحمد الجدع وحسني الجرار، مؤسسة الرسالة، بيروت ط١، ١٩٧٨، ج٤، ص٤١.
(٢٩)ينظر في ذلك أيام من حياتي لزينب الغزالي ١٨٣-١٨٤، وسيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، ٤٧١-٤٧٣.
(٣٠)القصيدة نُشرت في الكفاح الاسلامي الأردنية، ع٢٩، ١٩٥٧/٧/٢٦، ونقلها مؤلفا شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث
(٣١) رائد الفكر الإسلامي المعاصر الشهيد سيد قطب، يوسف العظم، دار القلم، دمشق، ١٩٨٠، ص ١١٩-١٢٠.
(٣٢) طفل من القرية، ص ٥٥.
(٣٣) ديوان سيد قطب، ص٢١٧.
(٣٤) ديوان سيد قطب، ص ١٥٤.
(٣٥) المصدر والصفحة نفسها.
(٣٦) ديوان سيد قطب، ص١٦٢.
(٣٧) ديوان سيد قطب، ص ١٨٥.
(٣٨) ديوان سيد قطب، ص ١٠٧.
(٣٩) ديوان سيد قطب، ص ١٥٦.
(٤٠) ديوان سيد قطب، ص ١٦٥.
(٤١)شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، عبد أ علي مهنى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦، ص ٣١٩.
(٤٢) ديوان سيد قطب، ص ١٦٦.
(٤٣) ديوان سيد قطب، ١٧٢.
(٤٤)مهمة الشاعر في الحياة، سيد قطب، منشورات الجمل، ١٩٩٦، ص١٤.
(٤٥) ديوان سيد قطب، ص ١٩٨.
(٤٦)ينظر: قضايا الشعر المعاصر، أحمد زكي أبو شادي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤، ص٩٢-٩٣.
(٤٧) حول محاولاته للزواج، يُنظر: سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، ص ٢٥٤.
(٤٨) ديوان سيد قطب، ص ١٩٩.
(٤٩) ديوان سيد قطب، ص ٢٠٠.
(٥٠) ديوان سيد قطب، ص ٢٠١.
(٥١)دراسة فنية لديوان سيد قطب، هارون أحمد، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى جامعة أم درمان الإسلامية، ص ١٠٣.
(٥٢) ديوان سيد قطب، ص ١٦٤.
(٥٣) ديوان سيد قطب، ص ٢١٧.
(٥٤) ديوان سيد قطب، ص ٢٢٢.

المصادر والمراجع:

سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ١٩٩٤.

طفل من القرية، سيد قطب، منشورات الجمل، ألمانيا، ١٤٢٨هـ.

مشاهد القيامة في القران، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة السدسة عشرة، ٢٠٠٦.

التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ار الشروق، الطبعة السابعة عشرة، ٢٠٠٤، القاهرة.

الاطياف الأربعة، محمد قطب وآخرون، دراسة وتقديم عبد الله العقيل، مركز الإعلام العربي، الجيزة، ٢٠١٥.

سيد قطب الأديب الناقد، عبد الله عوض الله الخباص، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب/ الجامعة الاردنية في عام ١٩٨٢.

شعراء الدعوة الإسلامية، أحمد الجدع وحسني الجرار، مؤسسة الرسالة، بيروت ط١، ١٩٧٨.

ديوان سيد قطب، عبد الباقي محمد حسين، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط الرابعة، ٢٠٠٩.

الأعمال الشعرية الكاملة، سيد قطب، دراسة في أشعار سيد قطب لحسن حنفي، مركز الناقد الثقافي، ط الأولى، دمشق، ٢٠٠٨.

سيد قطب من القرية إلى المشنقة، عادل حمودة، دار الخيّال، ط٣، ١٩٩٦.

رائد الفكر الإسلامي المعاصر الشهيد سيد قطب، يوسف العظم، دار القلم، دمشق، ١٩٨٠.

مهمة الشاعر في الحياة، سيد قطب، منشورات الجمل، ١٩٩٦.

دراسة فنية في شعر سيد قطب، هارون يونس أحمد، رسالة ماجستير غير مطبوعة مقدمة إلى كلية اللغة العربية بجامعة أم درمان الإسلامية بالسودان، ٢٠٠٦.

قضايا الشعر المعاصر، أحمد زكي أبو شادي، مؤسسة هنداوي للتعليموالثقافة، القاهرة، ٢٠١٤.

شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، عبد أ علي مهنى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦.

الأعمال الشعرية الكاملة، نزار قباني، منشورات نزار قباني، بيروت.

Resources and References:

Sayyid Qutb, From Birth to Martyrdom, Salah Abdel-Fattah Al-Khalidi, Dar Al-Qalam, Damascus, 1994.

A Child from the Village, Sayyid Qutb, Al-Jamal Publications, Germany, 1428 AH.

Scenes of the Resurrection in the Qur'an, Sayyid Qutb, Dar Al-Shorouk, Cairo, the sixteenth edition, 2006.

Artistic Imagery in the Qur'an, Sayyid Qutb, R. Al-Shorouk, Seventeenth Edition, 2004, Cairo.

The Four Spectra, Muhammad Qutb and others, a study and presentation by Abdullah Al-Aqeel, Arab Media Center, Giza, 2015.

Sayed Qutb, the writer and critic, Abdullah Awad Allah Al-Khabas, a master's thesis submitted to the Faculty of Arts / University of Jordan in 1982.

Poets of the Islamic Call, Ahmed Al-Jadaa and Husni Al-Jarrar, Al-Risala Foundation, Beirut, 1st edition, 1978.

Diwan Sayyid Qutb, Abdel-Baqi Muhammad Hussein, Dar Al-Wafaa for Printing, Publishing and Distribution, Mansoura, fourth edition, 2009.

The Complete Poetical Works, Sayyid Qutb, A Study of Sayyid Qutb's Poems by Hassan Hanafi, Al-Naqid Al-Thaqafi Center, First Edition, Damascus, 2008.

Sayyid Qutb, From the Village to the Gallows, Adel Hammouda, Dar Al-Khayyal, 3rd edition, 1996.

Pioneer of Contemporary Islamic Thought, Martyr Sayyid Qutb, Yusuf Al-Azem, Dar Al-Qalam, Damascus, 1980.

The Poet's Mission in Life, Sayyid Qutb, Al-Jamal Publications, 1996.

An artistic study in the poetry of Sayyid Qutb, Harun Yunus Ahmed, an unpublished master's thesis submitted to the Faculty of Arabic Language, Omdurman Islamic University, Sudan, 2006.

Contemporary Poetry Issues, Ahmed Zaki Abu Shadi, Hindawi Foundation for Education and Culture, Cairo, 2014.

Explanation of the Diwan of Omar Ibn Abi Rabia, Abd A Ali Muhanna, Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, Beirut, 1986.

Complete Poetical Works, Nizar Qabbani, Nizar Qabbani Publications, Beirut.